مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد 08 العدد: 02 جـــوان (2024) ص 145/ 160

منهجيّة ضبط تعليميّة الخط(رسم الحروف) في المدارس القرآنيّة إبان الاحتلال الفرنسيّ في منطقة تيديكلت سيّدي الحاج محمّد عبد القادر البرمكيّ –أنموذجـــا.

Title of the Article : Methodologie of educational handwriting control in the quran schools during the French colonial period in Tidikilt region –Sidi El hadj Mohammed Abdelkader Elbarmaki as a model

د. محمد بن عبوا*
جامعة أحمد دراية. أدرار (الجزائر)
abboumed16@gmail.com

أ. العايش برمكي
بلدية تمقطن. أولف. أدرار (الجزائر)

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/10/13
تاريخ القبول:
2024/06/23

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الكتاتيب
- ✓ النشء
- ✓ الرسم

الملخص

منطقة تيديكلت منطقة ضاربة في أعماق التّاريخ، بذل علماؤها جهودا جبّارة في الحفاظ على اللّغة العربيّة من خلال المساجد والكتاتيب، وبعض الزّوايا ؛ حيث حرص هؤلاء العلماء الأعلام على تلقين النّشء القرآن الكريم، وعلوم العربية فضلا عن مبادئ الفقه الإسلاميّ، حفظا وتدوينا، بنقلها من الصّدور إلى السّطور، ومن السّطور إلى الصّدور... ومنهم الشّيخ سيّدي الحاج محمّد عبد القادر البرمكيّ، فما هي الآليات التي اعتمدها هؤلاء العلماء الأعلام في تعليميّة الخطّ العربي (الرّسم) و ضبطه؟

Article info

Received
13/10/2022
Accepted
23/06/2024

Keywords:
- ✓ *Quran schools*
- ✓ *the young generation*

Abstract : (not more than 10 Lines)

Tidikilt region is a region That is deeply rooted in history. Its scholars have made great efforts to preserve The Arabic lqnguage Through mosques Quran schools and in some Zawaya Where Those scholars were Keen to indoctrinate The young generation The Holy Quran Throught memorizing it and writing it . In addition To juristic and linguistic principles and that is throught coping it from books to hearts and Vice Verses. –Sidi El hadj Mohammed Abdelkader Elbarmaki one of them.

* المؤلف المرسل

منهجيّة ضبط تعليميّة الخط(رسم الحروف) في المدارس القرآنيّة إبان الاحتلال الفرنسيّ في منطقة تيديكلت سيّدي الحاج محمّد عبد القادر البرمكيّ –أنموذجـــا.

✓ *calligraphy*	

. مقدمة:

بسم الله الرّحمن الرّحيـــم، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليما.

الحمد للّه ربّ العالمين، ملك يوم الدّين، والصّلاة والسّلام على خير الخلق أجمعين،أفضل مبعوث بأفضل كتاب إلى أفضل أمّة، في أفضل زمان وأفضل مكان، وعلى آله وصحبه الأفضلين وسلّم تسيلما.

أمّا بعد، فإنّ أفضل اللّقاء لقاء الله، وأفضل الذّكر ذكر الله، وأفضل الكلام كلام ربّنا ونحن له عابدون، كلام ربّنا الذي أمرنا بقراءته وتلاوته وترتيله، قال جلّ وعلا:﴿ فاقرؤوا ما تيسّر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤواما تيسّر منه ﴾ المزّمّل:18.

القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، فيه آيات بينات، و دلائل واضحات، و أخبار صادقات، و مواعظ رائقات، و شرائع راقيات، و آداب عاليات، بعبارات تأخذ الألباب، قراءته عبادة، وتلاوته سعادة... شرفه الله –تعالى-بأن سماه بخمسة وخمسين اسما،بالدلائل في القرآن الكريم،وقال الإمام الغزالي-رحمه الله-:"أعلم أن الله –تعالى-سمى القرآن بعشرة أسماء من أسمائه الحسنى" منها:العزيز،الحكيم،العظيم... (النازلي، د.ت، الصفحات 9-10)ودراسته أشرف دراسة وأنبلها.فمن شغله القرآن الكريم عن أن يسأل ربه، فإنه جل وعلا يعطه ما لم يعط السائلين، تحفَه الملائكة بالرحمة، ويذكره الله تعالى فيمن عنده، ويرزقه من حيث لا يحتسب... والقرآن الكريم مصدر شريعة المسلمين وسبيل هدايتهم وعصمتهم من الأهواء، وشفاؤهم من الأدواء...لا يأتيه الباطل من بين أيديه و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، أنزله تعالى على رسوله ليبلغه قومه و هم فحول البلاغة، و أمراء الكلام، و المكابرة، فتحداهم على أن يأتوا بمثله فنكصوا، ثم بعشر سور ممثله فعجزوا، ثم بسورة من مثله فانقطعوا... و حق عليهم قوله تعالى:﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ الإسراء، الآية: 88 نبأ مؤكّد بالقسم عام جميع الخلق إنسهم وجنّهم معجزا لهم، قاطعا بعجزهم سواء مجتمعين أومنفردين، إلى يوم القيامة. قال الإمام أبو محمد بن عبد الله بن أبي زكرياء الشقراطيسي المغربي –رحمه الله-(ت496)من البسيط:

أعجزت بالوحي أرباب البلاغة في عصر البيان فضلت أوجه الحيل
سألتهم سورة في مثل حكمته فتلّهم عنه جبن العجز حين تلي
ورام رجس كذوب أن يعارضه بعي غيّ فلم يحسن ولم يطل
مثلج بركيك الإفك ملتبس ملجلج بزري الزور والخطل
يمجّ أول حرف سمع سامعه ويعتريه كلال العجز والملل
كأنه منطق الورهاء شد به لبس من الخيل أو مس من الخبل

و للقرآن العظيم الفضل العظيم على لغة الضاد، فقد أثر فيها ما لم يؤثره أي كتاب سماوي كان،أو غير سماوي في اللغة التي كتب بها، إذ ضمن لها حياة طيبة و عمرا طويلا، صانها عن كل ما يُشوّه خلقها و يذوي نضارتها...ولما كانت دراسته أشرف دراسة-كما ذكر سلفا- فقد لقي القرآن الكريم من العلماء الأقدمين عناية خاصة، إذ بذلوا في دراسته جهودا مضنية للحفاظ عليه ؛ فمنهم من اهتم بتفسيره، ومنهم من اهتم به لغة، ومنهم من استقصى و استحصى وجوه

الإعراب لآياته، و منهم من تتبع بيانه و بديعة، و منهم من بحث في ألفاظه و غريبة، و لا يزال المنهل العذب، و سيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

وستظل اللغة العربية حية مادام الإسلام حيا، و مادام في أنحاء المعمورة مآت الملايين من البشر يضعون أيديهم على المصحف الشريف حين يقسمون...

فالقرآن العظيم أفضل كتاب سماويّ، نزل من لدن ربّ العالمين على أفضل العالمين بلسان عربيّ مبين قال تعالى:﴿ وإنّه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين لسان عربيّ مبين﴾ الشّعراء: 192-195.علما بأنّ الأمر بالقراءة هو أوّل أمر سماويّ، قال تعالى:﴿ اقرأ باسم ربّك الذي خلق ﴾ العلق: 01.ولقد أضاف المولى عزّوجلّ قراءة القرآن إلى نفسه، وأمر نبيّه عليه السّلام بمتابعة القراءة.قال جلّ وعلا: ﴿إنّ علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه ثمّ إنّ علينا بيانه ﴾ (القيامة:17-18).ولقد حرص معلّمو القرآن الكريم على تعليم النّشء قراءته وكتاتبه وفق آليات تهدف إلى إنشاء جيل قرآنيّ لا يشقّ له غبار إن على مستوى الرّسم القرآنيّ وإن على مستوى الحفظ، وهلمّ جرّا، وكان حريّ بنا الانطلاق من الإشكاليّة التّالية:

الإشكاليـة.

ماهي الآليات التي اعتمدها مدرّسو القرآن العظيم في ضبط الخط (الكتابة) في منطقة تيديكلت؟

2. آليات الضّبط القرائيّ.

بادي الرّأي يجد ربي قبل أن أعرّج نحو تعريف مصطلح الضّبط أن أتحدّث عن الرّسم القرآنيّ لأنّ الضبط يتوقّف عليه، وإلّا فإنّ السّؤال الذي يُطرح مؤدّاه: ضبط ماذا؟

2.1. تعريف علم الرّسم عند أهل اللّغة:

الرّسم لغة هو الأثر ويُراد فيه الخط، والكتابة، والزّبر،والسّطر، والرّقم والرّشم (بالشّين المعجمة) وبالسّين المهملة وهو الغالب في خطّ المصاحف العثمانيّة. وهو أيضا تصوير اللّفظ بحروف هجائيّة، والرّسم يدلّ على اللّفظ، وهو أيضا تصوير اللّفظ مع تقدير الابتداء به والوقف عليه. وهو نوعان: قياسيّ واصطلاحيّ ؛ فالقياسيّ هو تصوير اللّفظ بحروف هجائيّة بتقدير الابتداء والوقف عليه، وله أصول، هي: تعيين نفس الحروف، وعدم النّقصان منها، ولا الزّيادة عليها، وفصل اللّفظ عمّا قبله (مقلاتي، مذكّرة في رسم القرن الكريم، 2006، صفحة 17).

ومّا روته الأخبار الصّحيحة وأقوال الأئمّة في أوّل من خطّ بالعربيّة وأوّل من استخرج الخطّ المعروف بالنّسخ وأوّل من خطّ بالخطّ الكوفيّ، فقد قال كعب الأحبار: أول من وضع الكتاب العربيّ والسّريانيّ والكتب كلّها آدم عليه السّلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها في الطّين ثمّ طبخه فاستخرج إدريس ما كتب عليهما السّلام وهذا هو الأصحّ، وأمّا أوّل من كتب خط الرّمل فإدريس عليه السّلام، وأوّل من كتب بالفارسيّة طمهورث ثالث ملوك الفرس، وأوّل من اتّخذ القراطيس يوسف عليه السّلام، وأوّل من خطّ بالعربيّة يعرب قحطان، وكان يتكلّم بالعربيّة والسّريانيّة، وأوّل من استخرج النّسخ ابن مقلة وزير المقتدر بالله ثمّ القاهر بالله فإنّه أوّل من نقل الكوفيّ إلى الطّريق العربيّة، ثمّ جاء ابن التّوّاب وزاد في تعريف الخط، وهذّب طريقه ابن مقلة وكساها بهجة وحسنا، ثمّ ياقوت المستعصميّ الخطّاط وختم فن الخطّ ثمّ أكمله، ثمّ جاء الشّيخ حمد الله الأماسيويّ فأجاد الخط بحيث لا مزيد عليه إلى الآن، رضي الله عنهم (النّازليّ، 1286هـ، الصفحات 14-15). وجاء في الإتقان: فلمّا أصاب الأرض الغرق وجد كلّ قوم كتابا فكتبوه، فأصاب إسماعيل عليه السّلام الكتاب العربيّ. وكان ابن عبّاس يقول: أوّل من وضع الكتاب العربيّ إسماعيل عليه السّلام.قال: والرّوايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة... (الزّركشيّ، 2012، الصفحات 230-231).

وقد أقسم المولى جلّ وعلا في كتابه المنزّل على نبيّه صلّى الله عليه وسلم،فقال تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون ﴾ القلم:01. وما أقسم المولى بشيء إلّا لدلالة عظمة ذلك الشّيء وعلوّ قدره.هذا ولقد ذكر المولى عزّ وجلّ الخطّ في كتابه من فضيلة الخطّ والإنعام بمنافع الكتاب، فقد قال جلّ وعلا: ﴿ اقرأ وربّك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم ﴾ العلق 3و4و5.، ولذلك قالوا: القلم أحد اللّسانين (الجاحظ، البيان والتبيين، صفحة 82)....والكتاب يُقر بكلّ مكان، ويدرس في كلّ زمان... (الجاحظ، البيان والتبيين، صفحة 82). وفي معرض الحديث عن الرسم والأثر، فلا ضير من العودة إلى التّراث العربيّ الأدبيّ ؛ ذلك أنّ الرّسم هو ما تبقّى من أثر الدّيار، ولعلّه من أساسيات المقدّمة الطّلليّة عند شعراء الجاهليّة بل حتّى لدى بعض شعراء عصر الضّعف كالبوصيريّ مثلا. ويمكن تلمّس الحديث عن الرّسم في العديد من النّصوص الشّعريّة، منها قول المرقّش الأكبر:

الدّار قفر والرّسوم كمـــا رقّش في ظهر الأديم قلم (دراقي، 1984، صفحة 30) وقال امرؤ القيس في بكائيّته (من الطويل):

وإنّ شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معوّل؟ (شتيوي، 1428هـ-2007م، الصفحات 19-20).

وقال الأخنس بن شهاب (من الطّويل) :

ولابنة حطّان بن عوف منازل كما رقش العنوان في الرّقّ كاتب (دراقي، 1984، صفحة 30)

وقال زهير بن أبي سلمى في ميميّته (من الطّويل):

أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلّم بحومانة الدّرّاج فالمتثلّم

ودار لها بالرّقمتين كأنّها مراجيع وشم في نواشر معصم (طه، الأسكندري، أمين، الجارم، و البشري، 2014، صفحة 07).

أردت بهذه الأبيات الإشارة إلى غرابة ظاهرة الخط والرّسم لدى شعراء الجاهليّة خصوصا إلى درجة تشبيههم رسوم الدّيار، والأطلال، والنّقش،والوشم بالكتابة. والذي يتتبّع المصطلح في الشّعر الجاهليّ خصوصا يجد العجب العجاب خصوصا لدى طرفة وعديّ بن زيد، وسلامة بن جندل، وغيرهم...في مواطن كثيرة.

1 - الرّسم اصطلاحا: لقد عرّف العلماء الرّسم بقولهم: هو الوضع الذي ارتضاه الخليفة عثمان بن عفّان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن وحروفه. وقال آخرون: الرّسم عند القرّاء هو ما كتبت عليه المصاحف الأئمّة في عهد عثمان بن عفّان وبأمره (الفضيلي، 1980، الصفحات 10-11)

والرّسم نوعان: قياسيّ، واصطلاحيّ.فالقياسيّ هو تصوير الحروف الهجائيّة بتقدير الابتداء به والوقف عليه وله أصول خمسة هي: 1-تعيين نفس الحروف دون أغراضها. 2-عدم النّقصان منها. 3-عدم الزّيادة فيها. 4-فصل اللّفظ ممّا قبله، مع مراعاة الملفوظ به في الابتداء. 5-فصل اللّفظ ممّا قبله مع مراعاة الملفوظ به ومراعاة الابتداء لهذه القواعد: رسمت همزة الوصل، وألف أنا دون تنوين ما عدا المنصوب منها، وصلة الضّمير المفتوح، وميم الجمع غير المتّصل بضمير ورسم تنوين المنصوب، ونون إذًا، ونون التّوكيد الخفيفة ألفا، نحو قوله تعالى: وليكوناً ونسفعن، وتاء التّأنيث هاء...

الرّسم الاصطلاحيّ: ويُسمّى كذلك بالرّسم العثمانيّ، وهو الرّسم الذي كُتبت به المصاحف التي أمر سيّدنا عثمان بها بعض الصّحابة حفظا للقرآن الكريم، وهم من كتبة الوحي، (اثنا عشر صحابيّا يرأسهم سيّدنا عثمان ، وإشراف سيّدنا زيد رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وقد ذهب العلماء في توقيفيّة الرّسم العثماني مذاهب ثلاثة ؛ فرأى فريق بأنّ رسم القرن توقيفيّ يجب اتّباعه وتحرم مخالفته وهو رأي الجمهور، ومنهم الإمام مالك بن أنس وقد سئل هل يكتب المصحف على ما أحدث

النّاس من الهجاء؟ فقال: (لا) إلّا على الكتبة الأولى، ورأى فريق آخر إلى عدم توقيفيّة الرّسم العثمانيّ، إنّما هو من اصطلاح الصّحابة رضوان الله عليهم، تجوز مخالفته، وقد اعتمد هذا المذهب ابن خلدون ومن نهج نهجه وتحمّس لرأيه أمثال القاضي أبي بكر، وذهب فريق ثالث مذهبا وسطا بين المذهبين السّابقين حيث جوّز كتابة المصحف لعامّة النّاس على الاصطلاحات الشّائعة المعروفة عندهم، وعدم تجويز كتابته لهم بالرّسم العثمانيّ لكيلا يقع في تغيير من الجهّال، إلّا أنّه يجب المحافظة على الرّسم العثمانيّ كأثر من الآثار النّفسيّة الموروثة عن سلفنا الصّالح، فلا يهمل مراعاة لجهل الجاهلين، بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا تخلو منهم الأرض (بلعالية-المجاجي و بلعالية-المجاجي، 1426هـ-2005م، الصفحات 15-16-17).

وقد ظهر الرّسم بنزول القرآن الكريم، وكُتب بأمر من الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لكتّاب الوحي، وكان من بينهم الخلفاء الرّاشدون الأربعة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأُبيّ، وأبو سفيان رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

4: مبادئ الرّسم القرآنيّ.

الحديث عن مبادئ الرّسم القرآنيّ يُفضي بنا إلى الحديث عن مبادئه، وحدّه، وموضوعه، وواضعه، واسمه، ومصدر استمداده، وحكمه، ومسائله، وفضله، وفوائده.

وأمّا عن حدّه فهو علم يُبحث فيه عن كيفية كتابة الألفاظ مع مراعاة حروفها لفظا أو اصطلاحا، أو هو علم يُعرف مخالفة المصاحف العثمانيّة لأصول الرّسم القياسيّ.

وأمّا عن موضوعه، فهو يبحث في كتابة المصاحف العثمانيّة من حيث الشّكل الهيكليّ للكلمة القرآنيّة، مثل كلمة: كلّ ما – كلّما بالفصل والوصل... وأمّا عن واضعه فهم علماء الأمصار. وأمّا عن اسمه فهو علم الرّسم أو الخط.

وأمّا عن استمداده فهو من إرشاد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لكتبة الوحي في وقت نزول القرآن الكريم، وأمرُه لهم بالكتابة والتّوجيه لاسم السّورة والآية التي تُوضع فيها، و حكمه الواجب الكفائيّ، ومسائله: الكلمات القرآنيّة من حيث ماهيتها وكيفية كتابتها.

وأمّا عن فضله على غيره، فهو كفضل القرآن الكريم على سائر العلوم الأخرى.

وأمّا عن فوائده فهي حفظ المرسوم من القرآن الكريم وصونه من الخطإ والزّيف ؛لأنّ الكتابة نائبة عن الكلام، والخطأ في رسم الكلمة القرآنيّة يُعدّ لحنا (مقلاتي، مذكّرة في رسم القرن الكريم، 2006، الصفحات 17-18-19.).

4/تعريف مصطلح الضّبط:

1: الضّبط لغة: جاء في كتاب التّعريفات للجرجانيّ: الضّبط في اللغة عبارة عن الحزم، وفي الاصطلاح: إسماع الكلام كما يحقّ سماعه، ثمّ فهم معناه الذي أريد به، ثمّ حفظه ببذل مجهوده والثّبات عليه بمذاكرته إلى حين أدائه لغيره.
(الجرجاني، 2014، صفحة 140).

وهو أيضا بلوغ الغاية في الإحكام لحفظ الشّيء. فيقال: ضبط الكتاب، إذا أحكم حفظه بما يُزيل عنه الإشكال والالتباس.

2: الضّبط اصطلاحا: هو علامات مخصوصة تلحق الحرف لتدلّ على حركة مخصوصة، أو سكون، أو مدّ أو شدّ، أو تنوين، أو نحو ذلك. ويرادفه الشّكل، فيقال: شكّل النّصّ إذا قيّده بما يُزيل عنه الالتباس والإشكال فلا يلتبس المشدّد بالمخفّف، والسّاكن بالمتحرّك.

3: موضوعه: الحركات الدّالّة على ما يعرض للحرف من وضع حركة، كالضّمّ، أو النّصب أو الكسر، وتركيب الكلمة على منوالها (مقلاتي، مذكّرة في رسم القرآن الكريم، 2006، الصفحات 27-28). وأوّل من ضبط الرّسم القرآنيّ نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام بعد نزول القرآن الكريم عليه وهو أمّي، ولو لم يكن كذلك لارتاب المبطلون في حقيقة التّنزيل قال

تعالى:﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو آيات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلّا الظّالمون﴾العنكبوت: 48-49. ومع ذلك فقد علّم المتعلّمين وأرشدهم إلى الرّسم الصّحيح لكتاب الله ومن بيان ذلك قوله لمعاوية(ألق الدّواة، وحرّف القلم، وانصب الباء، وفرّق السّين ولا تعوّر الميم، وحسّن الله، ومدّ الرّحمن، وجوّد الرّحيم، وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنّه أذكى لك) (الزرقاني، صفحة 377).

ثالثا/ آليات الضّبط عند سيدي الحاج محمّد عبد القادر البرمكي.

1- سيدي الحاج محمّد عبد القادر بن الطّالب الأمين (1931م-2003 م)المعروف ب (سيدي محبقادر) نحتا، نحو: حضرميّ، وعبشميّ ومدغاشيّ، وبنغالي، وهلّل وكبّر،وبسمل وحوقل، أوحولق...وهلمّ جرّا. شخصيّة قرآنية، مولده ببلاد مولاي رشيد، ووفاته في رقّان-رحمه الله تعالى- وأمّه فاطمة هدّاجيّ، استلم المشعل من أبيه، بعدما حفّظه القرآن الكريم وعمره آنذاك اثنتا عشرة سنة، وقد ترعرع بين المدارس القرآنيّة فنهل الفقه من لدن سيّدي الطّالب محمّد البرمكيّ، ونال علوم اللّغة من شيخنا محمّد عبد القادر باي بلعالم –رحمهم الله أجمعين.

انتقل شيخنا إلى زاوية سيدي موسى(برج عمر إدريس حاليا) للتّدريس القرآنيّ فيها، ومن تلامذته أبناء الطّالب أبودة...وبطلب من أبيه عندما أصابه العجز، عاد شيخنا ومكث في أولف الكبير لمواصلة رسالة العلم هناك، حيث بدأ في التّنقّل عبر قصور المنطقة مدرّسا ومصلحا وباذلا دوره الفعّال في مختلف شؤون المجتمع فدرّس في قصر (المنصور). كما درّس في قصر(بلاد المهدي) ثمّ بقصر الزّويّة (قدي، الصفحات 11-17)، ومنه إلى قصر (قاقاو) لدى أبناء باية والمعروفين ب(أولاد مولاي السّعيد)، وبعد وفاة أبيه سيدي محمّد الأمين استقرّ شيخنا في منطقة أولف لكبير للتّدريس القرآنيّ، وقد تعلّم علي يديه الكثير، ومنهم المتحدّثان صاحبا المقال. ولم يتوقّف عن خدمة المجتمع إلّا في آخر رمق من حياته. (برمكي، 2021)

2- من آليات الضّبط القرائيّ التّحفيظي لدى شيخنا رحمه الله تعالى:

لا يكاد يختلف شيخنا رحمه الله تعالى عن غيره من علام تيديكلت في آليات تحفيظ القرآن الكريم، وهي كما يلي:

3-تحفيظ الحروف الهجائيّة جملة.تحفيظ الحروف الهجائيّة مجموعات مجموعات، نحو: اللّوحة الأولى: أ ب ت ث. اللّوحة الثّنية: ج –ح-خ.اللّوحة الثّالثة: د-ذ-ر-ز...إلى نهاية الحروف تمهيدا لبدء عملية الكتابة (الرّسم الذّاتي.)

4- التّحفيظ بالتّكرار الفرديّ ويتمّ ب قراءة اللّوحة جهرا في حضرة الشّيخ صباح مساء.

5- التّحفيظ بدون النّظر في اللّوحة (قلب اللّوحة).

6- التّحفيظ الذهنيّ بترك اللّوحة جانبا، والتّسميع المباشر للشّيخ، وغالبا ما تبتدئ العمليّة انطلاقا من سورة النّجم.وتُعزّز كلّ هذه الآيات ب القراءة الجماعيّة (الحزب الرّاتب).على أنّ العمليّة تتواصل حتّى خارج المدرسة، حيث يتبع التّلاميذ الشّيخ راكبا كان أم راجلا وهم يتلون ويُسمّعون ذهابا وإيّابا إلى أن يأذن لهم بالتّوقّف.

سابعا/ من آليات الضّبط الكتابيّ (الرّسم)، والإملاء:

لا يكاد يختلف شيخنا رحمه الله تعالى في آليات الضّبط الكتابيّ(الرّسم)، سوى في آلية واحدة، سأُشير إليها في نهاية الحديث عن هذا العنصر، وهذه الآليات هي:

1-: نسخ الحروف الهجائيّة كلّها باللّون الأسود. وتبتدئ العمليّة من أوّل يوم دخول التّلميذ الكُتّاب حيث يُشعر المدرّس بموعد الدّخول من ذي قبل، فضلا عن الأقارب وأعيان القرية، وغالبا ما يكون الدّخول في يوم الأربعاء حيث يرتدي التّلميذ جبّة بيضاء يقبضها بيسراه، ويحمل بيده اليمنى اللّوح فيخطّ الشّيخ (المدرّس) الأحرف الأبتثّيّة الأولي: ا-ب-ت-ث.يمّ

يطوف أحد الأقارب ببقية الجلساء حيث يتداولون على رسم الحروف الهجائيّة كلّها على وجه واحد من اللّوحة على أن تُختم اللّوحة بدعاء قد يكون مكتوب وقد يلقّن شفهيّا وهو: ربّ زدني علما وعقلا وفهما وأدبا بجاه نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. ، ثمّ يضع كلّ واحد منهم في قبضة الطّفل نصيبا من المال نقدا ومنهم من يهدي المدرّس عقّارا أو نخلا.وبانتهاء العملية يتناول الحاضرون تمرا ولبنا وقد يشربن صحنا حساء، ويوُزّع بعض ممّا بقي على التّلاميذ الحضور، ثم" تُختم الجلسة بفاتحة الكتاب والدّعاء لذلك المتعلّم والمعلّم معا، وتُختم المراسيم بتهنئة ولي أمر التّلميذ، وهكذا دواليك، على أن يُسرّح التّلاميذ مساء تلك الأربعاء ثمّ الخميس، وهكذا دواليك مع دخول تلميذ آخر.

اليوم الثّاني: يشرع التّلميذ في قراءة لوحته بتوجيه من المدرّس إلى أن يحفظها كلّه وذلك طيلة أيام معدودات تلعب فيها المهارة دورها الكبير، فضلا عن المساعدة التي يتلقّاها التّلميذ الجديد من أخيه الأكبر، أو أخته الكبرى.حيث يعكفان على تعلّمه الحروف الهجائيّة حرفا حرفا إلى أن يستوعبها فيدرك صورها فيقرأها وحده، وقد يقلّدها فيرسمها من تلقاء نفسه، وكثيرا ما يحدُث هذا.والصّورة الأولى تبيّن

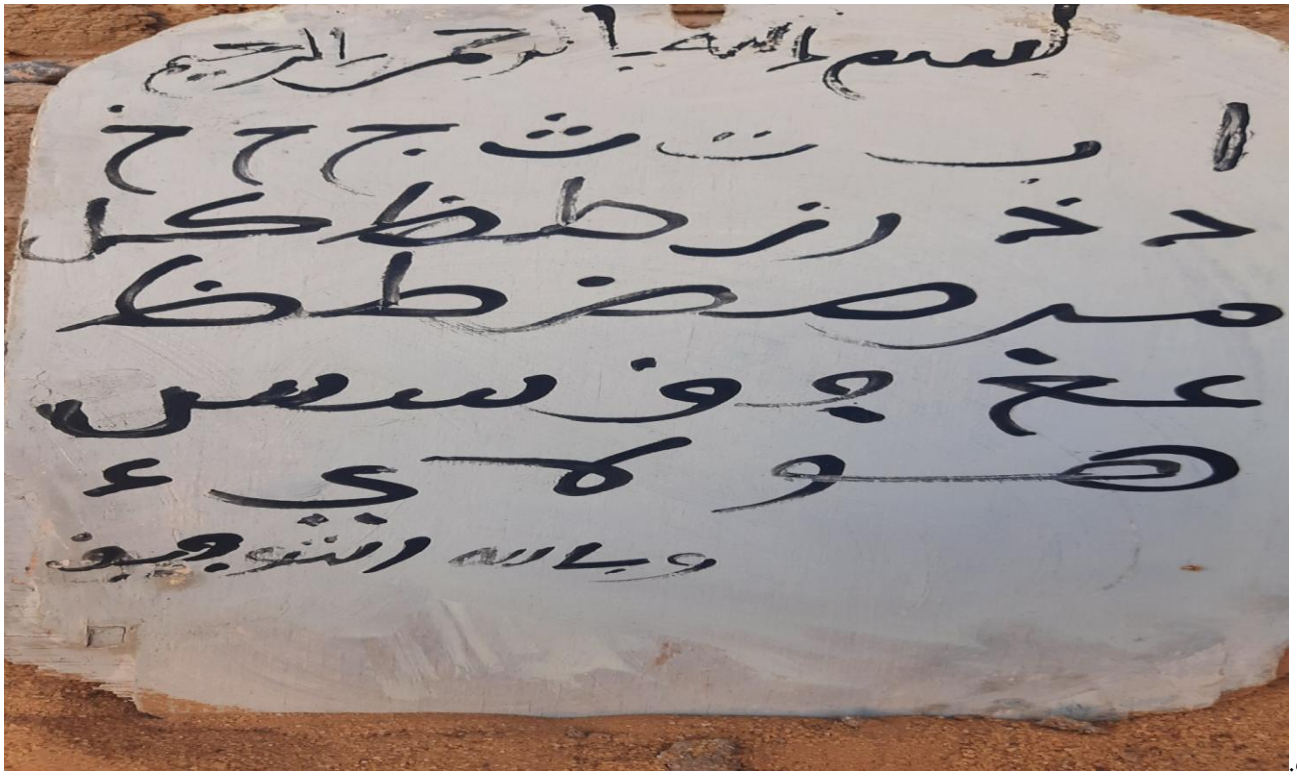

ذلك.

2-: النّسخ الجزئيّ لحروف الهجاء:

ويبدأ بعد نهاية الطّفل من حفظ الحروف عن ظهر قلب. حيث يرسم له الشّيخ ثلاثة أحرف وهكذا دواليك وتعتبر هذه المرحلة مرحلة تطبيقية للمرحلة التي قبلها.

منهجيّة ضبط تعليميّة الخط(رسم الحروف) في المدارس القرآنيّة إبان الاحتلال الفرنسيّ في منطقة تيديكلت
سيّدي الحاج محمّد عبد القادر البرمكيّ –أنموذجـــا.

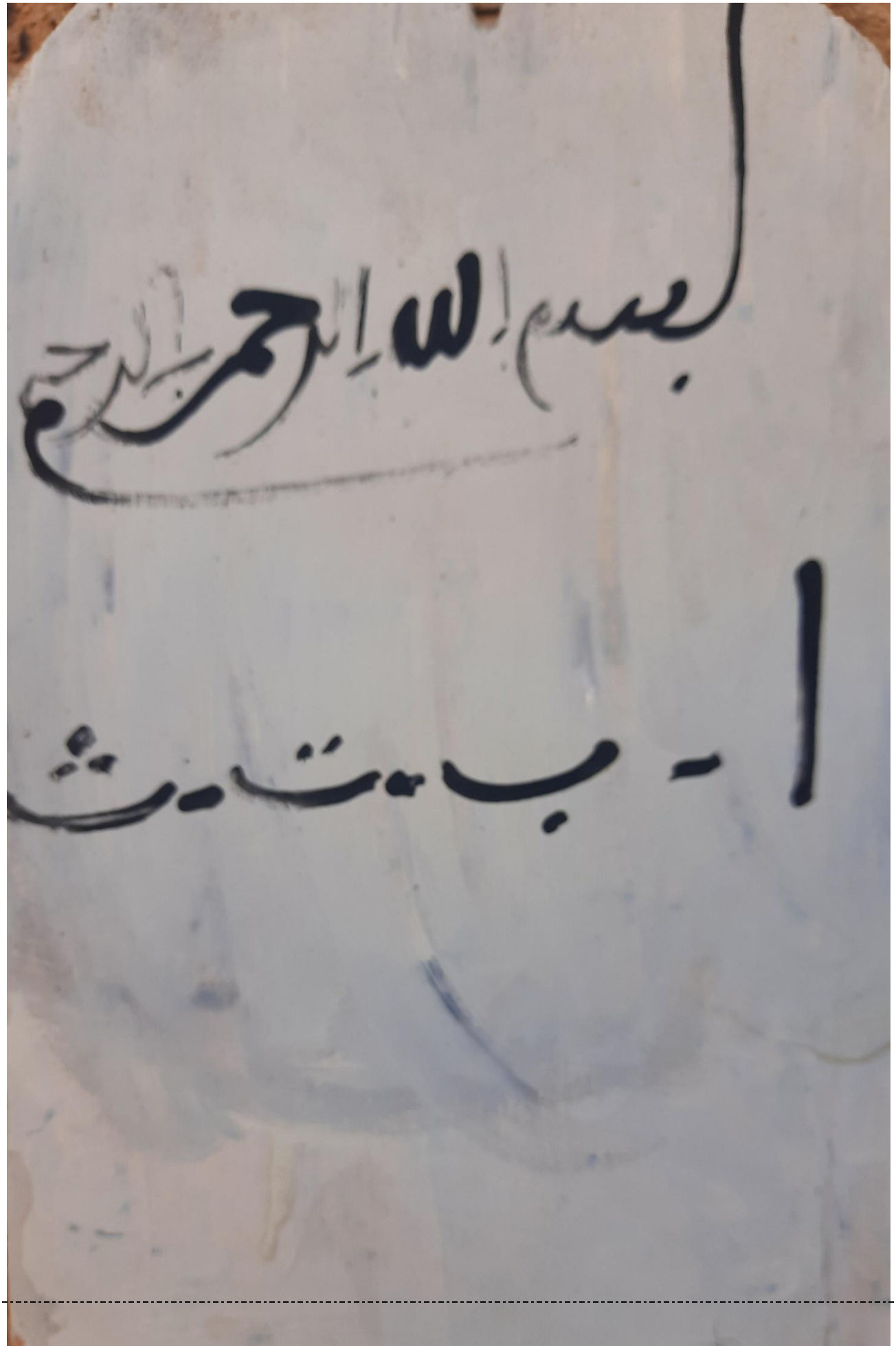

3- نسخ اللوحة بقلم الرّصاص. أ –ب-ت-ث-ج-ح-خ...مجموعات مجموعات إلى نهاية الحروف.كم الحال في المشهد الثّاني.

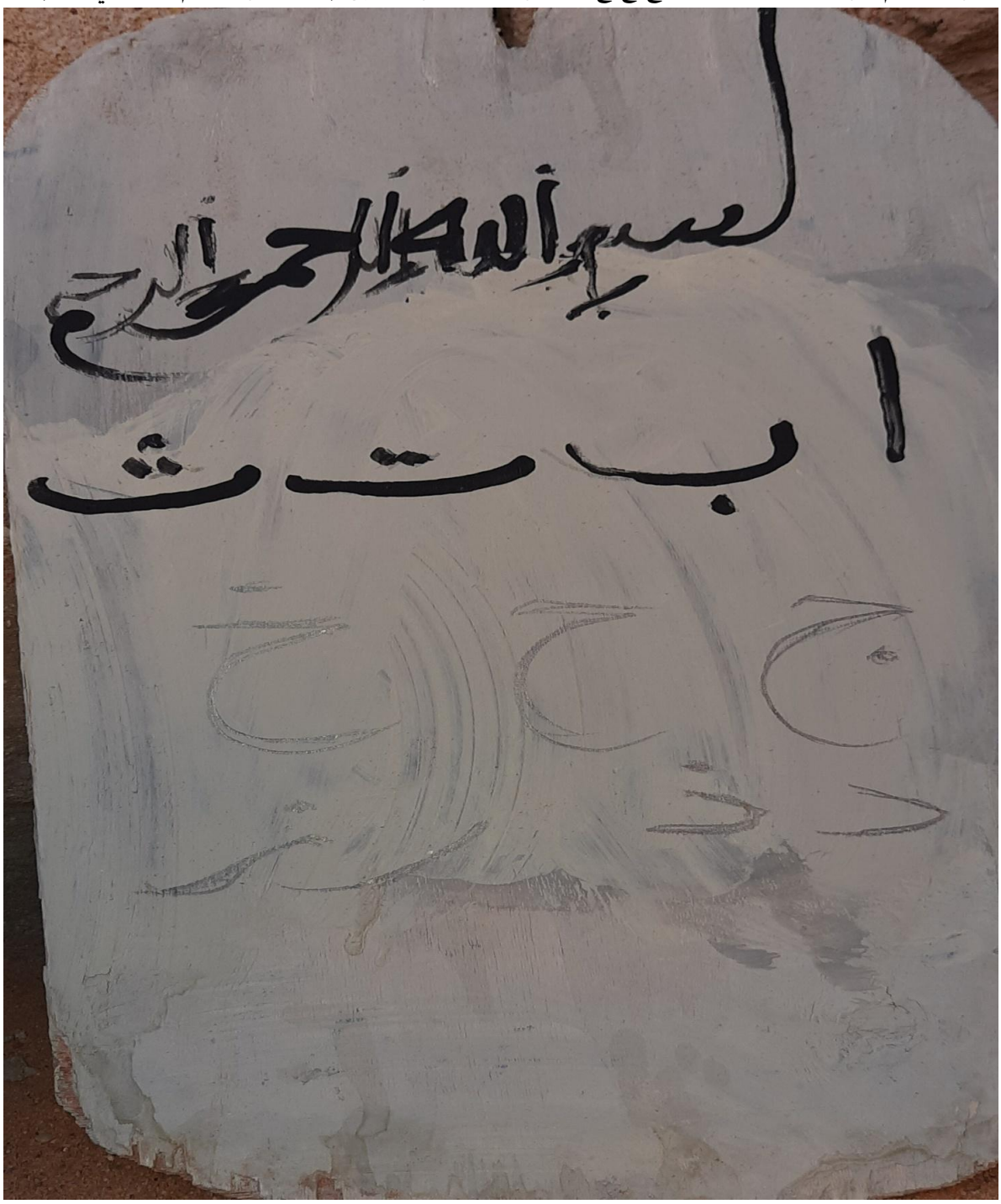

4:. نسخ اللوحة بالتّمويربمؤخّرة القلم القصبيّ–انطلاقا من الحروف الأبتثّيّة: أ –ب-ت-ث-ج-ح-خ... مجموعات إلى نهاية الحروف.وتلك خطوة ثانية من خطوات تعليميّة الخط ؛لأنّ الأولى أوضح (رسم الحرف بقلم الرّصاص). وبعد التمكّن من نسخ الحروف تبدأ كتابة لوحات من قصار السّور انطلاقا من سورة الفاتحة بالتّجزئة، إلى نهايتها، والحال نفسها مع بقيّة قصار السّور.

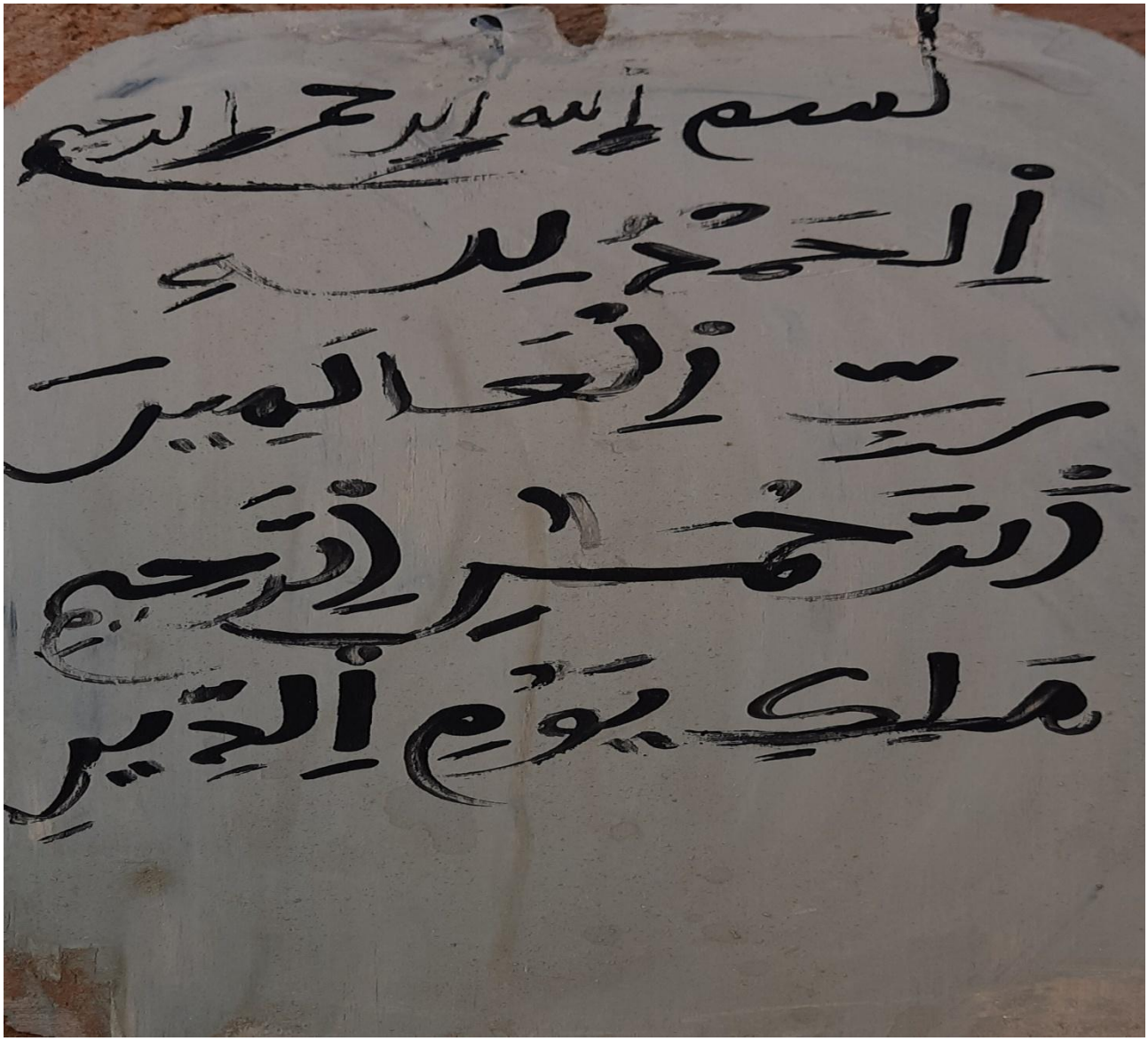

5-:بعد حفظ الفاتحة، وبعض قصار السّور، ينتقل المتعلّم إلى التّدوين الذّاتي وذلك ب نسخ أجزاء من السّورة بوساطة قلم الرّصاص من لدن المدرّس، على أن يعيد التّلميذ رسم الكلمات بالقلم والدّواة (المحبرة).

6-: الكتابة في أسفل اللّوحة من لدن المدرّس ونقلها في النّصف العلويّ من لدن المتعلّم، ثمّ مراقبة المدرّس للكتابة، على أنّ هذه الطريقة كانت مستعملة عند شيخنا سيدي الحاج محمّد عبد القادر(الابن). (بن عبو و سالمي، 2021)

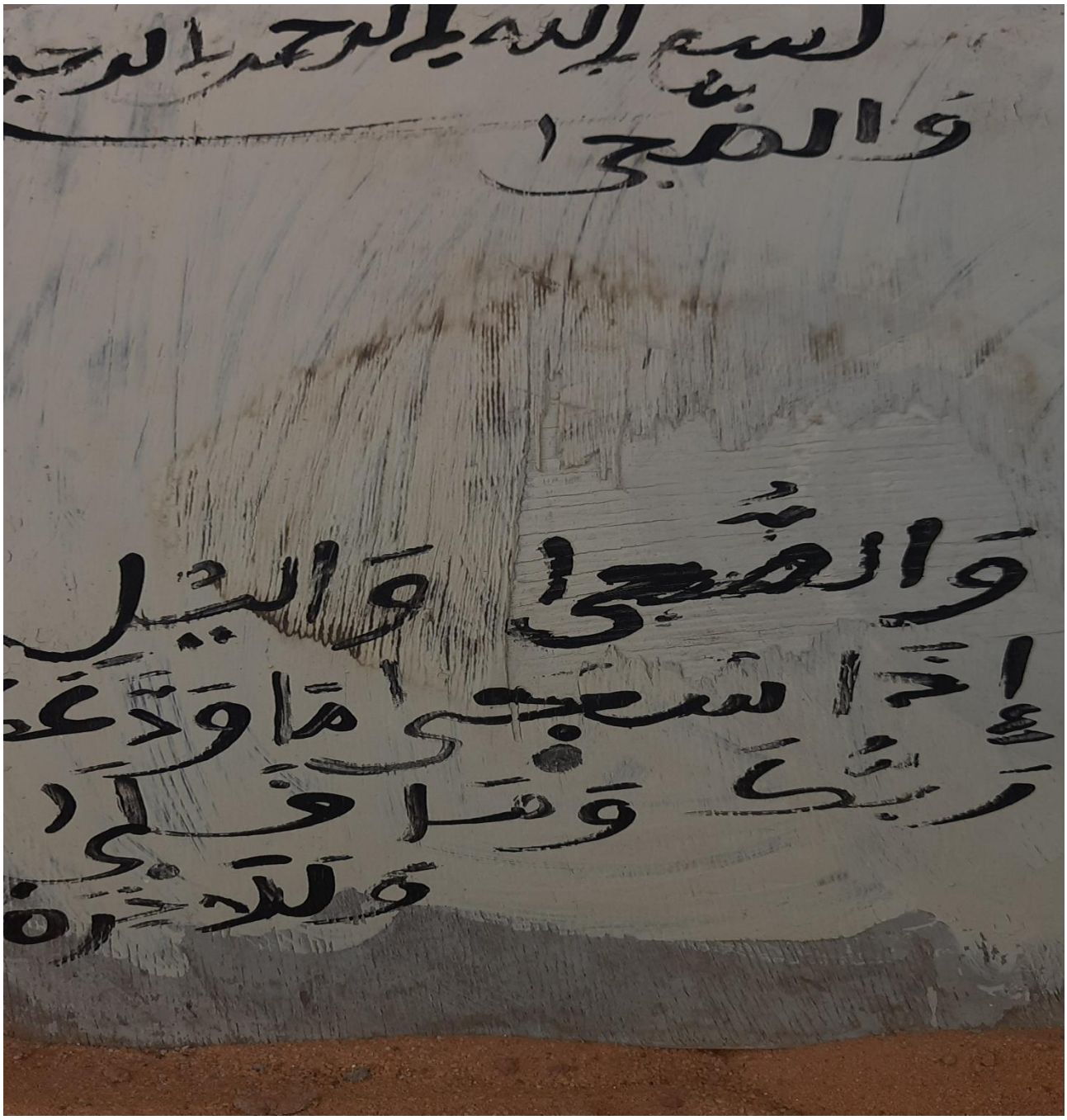

7-: كتابة الآيات باعتماد طبق رمل، ثمّ النّقل من لدن المتعلّم. إلاّ أنّ هذه الكيفيّة لم تُعمّر طويلا، حيث أنّ الكثير من شيوخ المدارس القرآنيّة أنكروها واكتفوا بالرّسم والتّمويرعلى اللّوح ثمّ الإملاء المسموع (المرحلة الموالية: 3-5). حرصا منهم على وضع كتاب الله في موضعه من جهة، ومن جهة أخرى وضع المتعلّم أمام مشكلّة، لا حلّ لها سوى أن يشمّر التّلميذ على ساعد الجدّ فيحرص هو بنفسه على تصوّر الحرف والكلمة في مخيّلته تصويرا سليما وعلى جناح السّرعة والذي يعجز أو يتأخر سيجد نفسه بين أمرين أحلاهما مرّ؛ فإمّا العقاب والتّوبيخ، وإمّا التّأخّيرعن الأتراب والأ قران.

8-: كتابة اللّوحة باعتماد السّماع،ثمّ الشّكل والضّبط من لدن المدرّس(الإملاء المسموع) والمشهد الآتيّ يبيّن ذلك.

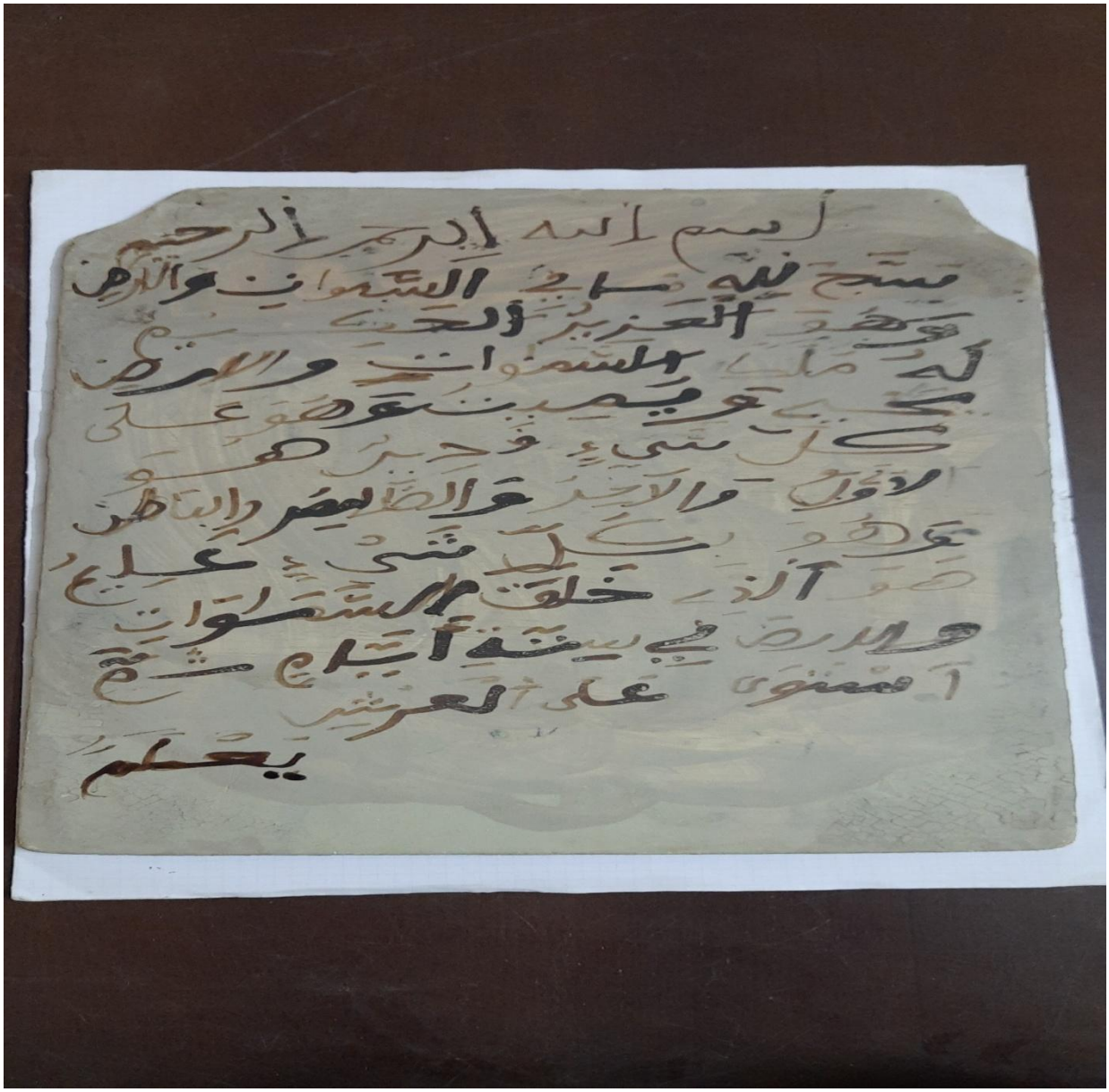

وهذه آخر مرحلة من مراحل تعلّم رسم كلمات القرآن، وفي أثنائها كثيرا ما يلجأ المدرّس إلى تذكير تلامذته ببعض الأبيات من متون الرّسم القرآني: مثلا عند كتابة أساؤوا السّوآى (بسبعة ألفات)نسبة إلى قوله تعالى:﴿ ثمّ كان عاقبة الذين أساؤوا السّوآى أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾ الرّوم: 09 –أفإين مَتّ (غَلَبَت ستّة من طلبة كنتة)إشارة إلى قوله تعالى:﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن متّ فهم الخالدون﴾(الأنبياء: 34)- معايش(بدون رسم المدّ) إشارة إلى قوله تعالى:﴿ وجعلنا لكم فيها معائش ومن لستم له برازقين﴾ (الحجر: 20)، وقوله تعالى:﴿ فلولا نصرهم الذين اتّخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلّوا عنهم وذلك إفكهم الذي كانوا يفترون ﴾ الأحقاف: 28، وهكذا دواليك...

...وأحيانا يقوم بإملاء بيتين أو ثلاثة من المتون، حيث تُكتب في الجزء المتبقّي من أسفل اللّوحة، فيحفظها التّلميذ، وعلى مرّ الأيّام يكون قد حفظ المتن، ومن فوائد المتون استرجاع القاعدة عند الاقتضاء (اللّزوم) على أنّ أغلب هذه المتون هي أراجيز سهلة الحفظ، ومن ذلك قول الرّاجز:

يا طالب المدّ على معايشا (جبت) البلا لنفسك يا (هايشا)

يا طالبا تقرا وتمشي في البلدان نوصيك يا أُخي لا تحذف قربان...

ويمكن أن أعزّز الفكرة بفصلين من أبيات توجيهيّة في الرّسم القرآنيّ، يقول ناظمها افضيلة الشّيخ الحاج عبد الرّحمن حفصيّ رحمه الله تعالى:

فصل في كتاب (امرأت)

امرأة تُكتب بالهاء عدا سبع مواضع بتاء واعـــــددا

إذ قالت امرأت عمران وذي في آل عمران وغيرهـــا انبذي

امرأت العزيز الأولى قد حصى وامرأت العزيز الآن حصحصا

كلتاهما في يوسف وفي القصص وقالت امرأتُ فرعون تُخـص

امرأتَ نوح ثمّ وامرأتَ لوط وثمّ وامرأتَ فرعــون تحوط

ثلاثـــة في سورة التّحريم نقلتهـــا لقارئ كـــــريم

(هـــاء السّكت)

للسّكت هاء كُتبت في سبعة مواضع في الذّكر للغُمر انعَت

تجد في الحاقّة منها أربعه واحد في البكر أو في القارعه

حسابيه كتابيه سلطانيــه ومالية لم يتسنّـه ما هيـــه

كُتب ذاك لبيان الحركــه فبــهديهم اقتده لا تتـــركه (حفصي، صفحة 18)

إنّ مبدأ التّدرّج في التّعليم واضح جليّ في منهجيّة شيخنا، وهو مبدأ لا يستغنى عنه في أيّة عمليّة تعليميّة ناجحة.

وبعدما يأنس شيخنا من مدى تحكم التّلاميذ في قواعد الرّسم والكتابة بواسطة الإملاء غير المنظور، يختار المجيدين من التّلاميذ لكتابة ألواح مَن هم دونهم من الصّغار. وهذا أنموذج.

ولنعرض أنموذجا للوحة قرآنيّة رسمها شيخنا سيدي الحاج محمّد عبد القادر وهو في آخر رمق من حياته وهو على فراش المرض لإحدى تلميذاته النّجيبات. والآيات من سورة سبأ.

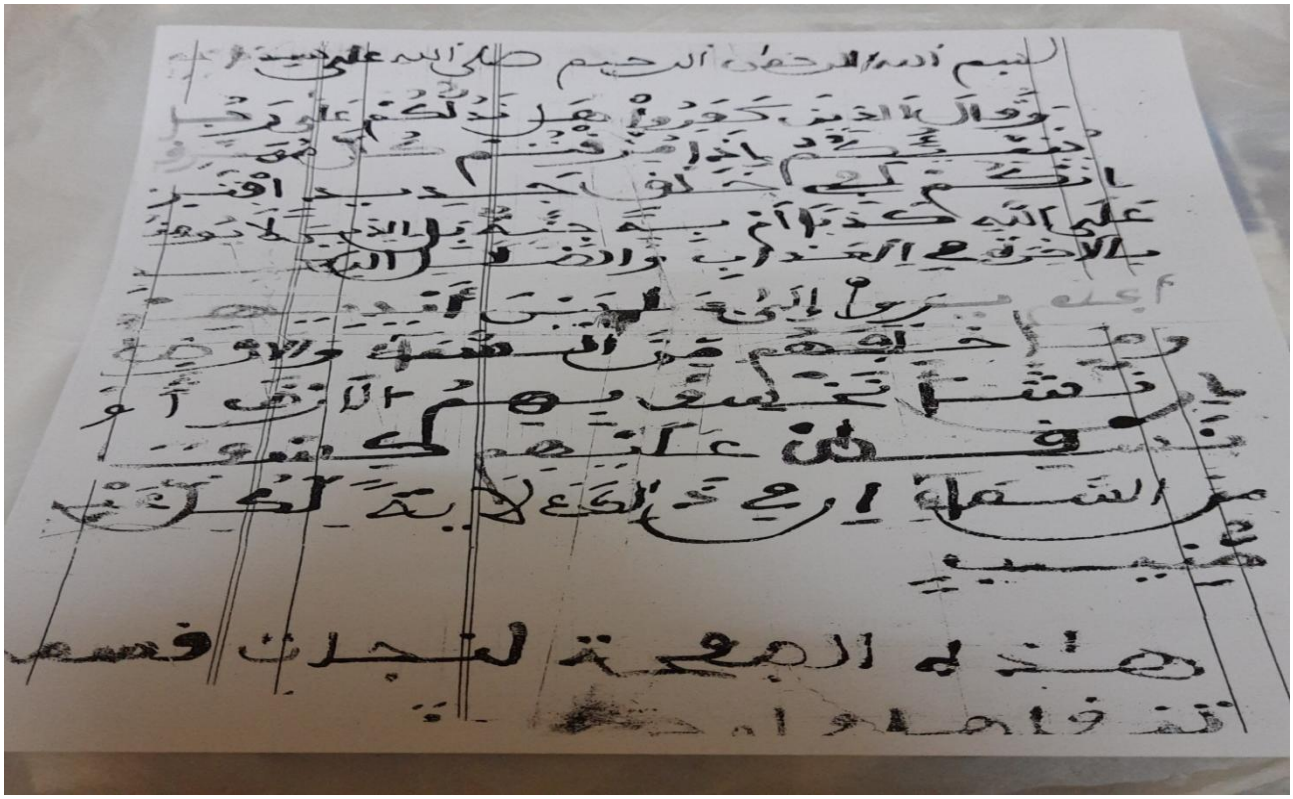

4. خاتمة:

بعد عرض منهجيّة شيخنا في تعليميّة الخط عامّة والرّسم القرآنيّ على وجه الخصوص، واعتماده مبدأ التّدرج في منهجيّته التّعليميّة على الرّغم من دخول الخطّ القرآنيّ عالم الرّقمنة، بل وحتّى اللّوح يكبر مع سنّ المتعلّم تدريجيّا، رأينا أن نختم المقال بالحديث عن بعض ثمرات جودة الضّبط وحسن الرّسم.

تقول الحكمة (من الكامل):

العلم صيد والكتابة قيده قيّد صيودك بالحبال الموثقه

إنّ شدّة حرص شيخنا- رحمه الله تعالى - وحزمه في التّعامل تجاه المتعلّمين حال القراءة والكتابة قد آتى أُكله على مستوى الأفراد والجماعات، ومن هذه الثّمار:

1 -نبوغ الكثير من الطّلبة في حفظ كتاب الله تعالى عن ظهر قلب وبصورة آلية، حتّى وإن لم يكونوا على دراية بالنّحو العربيّ، فكانوا يقرؤون القرآن الكريم عن سليقة، ويكتشفون الخطأ بصورة آلية، يكفيهم أن يلحن أحد في حضرتهم فيرشدونه في لمح البصر.

2 -نبوغ الكثير من الطّلبة في ميدان الخط، بحيث إنّ التّلميذ حينما يدخل المدرسة النّظاميّة في سنّ السّادسة من العمر يكون في مقدوره ممارسة القراءة والكتابة منذ أوّل وهلة، فلا يجد المدرّس أيّ عناء مع التّلاميذ، بل ظهر فيهم من يكاد يضاهي الآلة الرّاقنة من حيث الجودة إن لم أكن مبالغا.على الرّغم من الاختلاف الطّفيف بين المدرسة القرآنيّة والمدرسة النّظاميّة في رسم بعض الأحرف كالقافو الفاء، إلّا أنّه أمكنهم أن يتجاوزوا هذه المسألة في لمح البصر.

3 - الكثير من الطّلبة تجاوزوا المرحلة الابتدائيّة في ظرف أربع سنوات، بحيث يجمعون بين السّنتين الأولى والثّانيّة في موسم دراسيّ واحد، والثّالثة والرّابعة كذلك. وكثرا ما يتبارى التّلاميذ فيما بينهم في رسم بعض الكلمات اللّغزية، ومنها مواضع رسم الهمزة في مختلف أشكالها، نحو: يومئذ، أفإن متّ، بناء،آتى، أتى...وهلمّ جرّا.

4 - اعتياد الكثير من التّلاميذ نسخ الكتب خصوصا المتون الفقهيّة كالأوجليّ وابن عاشر، العبقريّ، ومتون المديح كالبردة البوصيريّة والهمزيّة، والتّخميسات في مدح خير البريّة كالبغداديّ وابن مهيب لقلّة هذه النّسخ حينذاك من جهة، وانعدام وسائل الكتابة الحديثة من جهة أخرى.

5-استمرار التّفوّق الدّراسي لأبناء المنطقة (مقرّ شيخنا) إن على مستوى المدارس القرآنيّة وإن على مستوى المدارس النّظاميّة حينا من الدّهر، وحيثما حلّوا وارتحلوا ولعلّ السّبب الجوهريّ هو زرع روح التّنافس فيما بينهم حينذاك... على أنّ هذه النّتائج الجزئيّة ظهر تأثيرها جليا على مستوى الممارسة الفعليّة للقراءة والكتابة على حدّ السّواء.

خامسا: اقتراحات في الموضوع.

لا يختلف اثنان في أهميّة الضّبط القرآني ومدى تأثيره البالغ في تحسين المستوى خصوصا لدى النّاشئة ونحن نعاني ضعفا لغويا عارما في مختلف مجالات العلم، ولا سبيل إلى النّهوض بالعربيّة تدوينا وتوظيفا إلاّ بالقرآن الكريم.

1- مواصلة تشجيع التّعليم القرآني والبحث فيه بصورة معتبرة تضاهي بعض الأنشطة المعروفة على السّاحة والإشارة إلى بعض السّلف الذين بذلوا جهودا جبّارة في هذا المجال، فهم كثر ومغمورون.

2- زرع روح المنافسة في الخط اليدوي بين النّاشئة خصوصا،تحفيزا لهم سعيا وراء تكوين جيل قرآنيّ يخدم أمّته ويُسعدها على كرّ الأعصار والأمصار.

3-التّكثيف من الدّورات التّكوينيّة في علم المخطوط والخطّ العربيّ – ولو عند بُعد- قصد زيادة الإفادة ورفع المستوى العلميّ.وكذلك الدّورات والورشات التّكوينيّة في علوم القرآن فالقرآن الكريم هو مفتاح كلّ العلوم.والأساس في ارتفاع المستوى خصوصا في لغة الضّاد.لأنّ العربيّة هي الوعاء الذي يحمل التّنزيل.

4-إلزام التّلاميذ والطّلبة كتابة البحوث اللّغويّة والمشاريع بالخط اليدويّ ؛ لأنّ الاعتماد على الكتابة بوساطة الحاسوب في نظريّ، فضلا عن استخراج البحوث من المقاهي الإلكترونيّة بقدر ما هي نعمة تساعد على تدوين معلومات كثيرة في وقت يسير، بقدر ما انعكست سلبا على مستوى الخط فنتج العزوف عن الخط اللّغوي عامّة، ورداءته لدى الكثير؛ فظهر جيل من الطّلبة والتّلاميذ وكأنّهم يكتبون بأرجلهم إلاّ ما رحم ربّك... وعلى الله قصد السّبيل.

5. قائمة المراجع: طريقة (APA)

إبراهيم مقلاتي. (2006). مذكّرة في رسم القرآن. الجزائر: دار الخلدونيّة للنّشر والتّوزيع.

إبراهيم مقلاتي. (2006). مذكّرة في رسم القرآن الكريم. الجزائر: دار الخلدونيّة للنّشر والتّوزيع.

إبراهيم مقلاتي. (2006). مذكّرة في رسم القرىن الكريم. الجزائر: دار الخلدونية للنّشر والتّوزيع.

أبو عمرو عثمان الجاحظ. البيان والتبيين. لبنان: دار الجيل.

أبو عمرو عثمان الجاحظ. البيان والتّبيين. بيروت: دار الجيل.

أحمد أحمد شتيوي. (1428هـ-2007م). شرح المعلقات االعشر للشنقيطيّ. القاهرة: دار الغد الجديد.

الحاج عبد الرّحمن حفصي. جمّانة القرّاء-أرجوزة في الرّسم القرآنيّ. نسخة خطّيّة.

الشريف علي بن محمد الجرجاني. (2014). التعريفات. القاهرة: دار الطّلائع للنّشر واالتّوزيع والتّصدير.

العائش برمكي. (06 03، 2021). منهجيّة تعليميّة الخط لدى سيّدي محمّد عبد القادر البرمكيّ.

بدر الدّين الزّركشيّ. (2012). البرهان في علوم القرآن. القاهرة: دار ابن الجوزيّ.
حسين طه، أحمد الأسكندري، أحمد أمين، علي الجارم، و عبد العزيز البشري. (2014). المنتخب من أدب العرب (المجلد 2). القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.
دحمان سالمي. (25 07، 2021). منهجيّة تعليميّة الخط لدى سيّدي محمّد الأمين البرمكيّ وابنه سيّدي محمّد عبد القادر.
دومة علي-أبو عمر بلعالية-المجاجي، و دومة علي-بو عمر بلعالية-المجاجي. (1426هـ-2005م). الوجيز في رسم كتاب الله العزيز. الجزائر: دار الكتاب الحديث.
زبير دراقس. (1984). المفيد الغالي في الأدب الجاهلي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة.
زبير دراقي. (1984). المفيد الغالي في الأدب الجاهليّ. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة.
عبد المجيد قدي. صفحات مشرقة من تاريخ مدينة آولف العريقة.
عبد الهادي الفضيلي. (1980). القراءات القرآنية (المجلد 02). بيروت: دار الكتاب الحديثي.
محمد بن عبو، و دحمان سالمي. (25 07، 2021). (منهجيّة تعليميّة الخط لدى سيّدي محمّد بالأمين البرمكيّ وابنه سيّدي محمّد عبد القادر، المحاور)
محمّد حقّيّ النّازليّ. (1286هـ). خزينة الأسرار. القاهرة: دار الفكر للطذباعة والنّشر والتّوزيع.
محمد حقي النازلي. (د.ت). خزينة الأسرار. بيروت: دار الكتب العلمية.
محمد عبد العظيم الزرقاني. مناهل العرفان في علوم القرآن. مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي.